

❖ القواعد الفقهية:

❖ القاعدة الأولى: "الأمر بمقاصدها"

هذه القاعدة هي أعظم القواعد الفقهية مكاناً ومقاماً، والتي يسميها العلماء قاعدة "الأمر بمقاصدها".

يقول: ابن ناصر السعدي - رحمه الله - في منظومته والتي ضمَّنها معاني القواعد الفقهية.

النية شرطٌ لسائر العمل بها الصلاح والفساد للعمل

الشيخ - رحمه الله - صاغ هذه القاعدة بعبارة أخرى، وهي: النية شرط لقبول العمل، هو قال: "النية شرط لسائر العمل"، كأنها شرط لقبول العمل، هذا المعنى الذي نسميه: الأمر بمقاصدها، هذا الكلام كله دخل تحت راية واحدة، وهي: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ﴾.

"الأمر بمقاصدها": قاعدة كلية لها جزئيات، وهي تصلح أن تكون دليلاً لأنها مستندة إلى نصٍّ صريح من هدي النبي ﷺ

أدلة هذه القاعدة

من القرآن:

يقول فيها الله - جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: 19].

"وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ": إذن رغبَ فيها عند ربه - جل وعلا - وتمنى أن يكون من أهل الجنة، وأن يعافيه الله من النار وعذابها.

"وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا": اتخذ الأسباب، "وَهُوَ مُؤْمِنٌ": راضٍ معتقِد بما أمره به ربه وبما نهاه عنه، عنده نية صالحة، وأخذ بالأسباب، "كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا" أي يثابون عليه.

من السنة:

قوله ﷺ ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ﴾، وكذلك قوله ﷺ فيها راوه مسلم وغيره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾، الله - جل وعلا - ينظر إلى ما استقرَّ وسكن في القلب وهي النوايا، فربما كان الظاهر يُخالف الباطن.

الإجماع:

أجمع العلماء على هذا المعنى، وقلنا: إذا كان الدليل من القرآن ومن السنة ومن الإجماع تصير القاعدة يُستدل بها.

أساء هذه القاعدة:

هذه القاعدة اسمها ويُطلق عليها: "الأمر بمقاصدها"، ويُطلق عليها أيضاً "إنما الأعمال بالنيات"، ويُطلق عليها "لا عمل إلا بنية"، فأى اسم من هذا مقبول وصحيح، لكن تعارف العلماء دائماً على تسميتها "الأمر بمقاصدها".

❖ مبحث في النية:

يصح أن نقول: النية - بالتشديد - ويصح أن نقول: نية - بالتخفيف - كما يصح أن نقول: دية، أو نقول: دية.

النية شرط لصحة سائر الأعمال عند جميع علماء المسلمين، وليس المراد أن العمل لا يوجد ولا يحدث إلا بنية؛ إنما القصد أن صلاح العمل وفساده مبني على النية، ولذلك الشيخ - رحمه الله - قال: "بها الصلاح والفساد للعمل"، فإن كانت النية صالحة صلح العمل، وإن كانت فاسدة فسد العمل مع وجوده.

فالنية أمر خطير جداً في الإسلام، لذلك قال بعضهم على حديث ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ﴾، إنها هو نصف الإسلام، وقال بعضهم: هو ثلث لإسلام. وقال بعضهم: هو ربع للإسلام.

يقول أحد الشعراء:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلمات خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعينك وأعملن بنية

* تعريف النية

النية في اللغة: العزم والقصد.

وهو عزم القلب وقصده لفعل عمل معين، أو هي ما يعبر به بانبعث القلب بعمل معين.

مثال: يعني تجدد نفسك وأنت جالس هاج عندك الشعور بداخلك، أقوم لأمشي، لأنام، أذهب لأكل، لأصلي، فيه نية تحركت في الداخل انبعث عنها عمل في الظاهر، النية هي المجودة المكنونة في الداخل.

قال البيضاوي -رحمه الله: " النية عبارة عن انبعث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض، من جلب نفع، أو دفع ضرر، حالاً أو مآلاً، والشرع خصها بالإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله، وامتنالاً لحكمه "

شرح العبارات:

" انبعث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض ": عندي غرض، القلب ينبعث بتوجيه ما، لأوافق هذا الغرض الذي أريد، هذا الانبعث اسمه نية.

" الشرع خصها بالإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء وجه الله ": يعني أنه يرجو بعمله وجه الله.

" امتثالاً لحكمه ": لأنه من شروط الأعمال فيها شرط المتابعة لهدي النبي ﷺ ، يعني لا تكن نية صالحة فقط ولكن العمل فاسد، لا، لابد أن تكون النية صالحة وأن يكون العمل أيضاً صالحاً موافقاً لهدي النبي ﷺ .

النية بمعناها الخاص: قصد الطاعة والتقرب إلى الله تعالى بإيجاد الفعل أو الانتهاء عنه.

يعني إيجاد فعل يقربنا إلى الله، أو الامتناع عن فعل يبعدني عن ربي -جل وعلا.

◀ سندرس هذا المبحث في النية لأنه سترتب عليه كيف نعمل القاعدة الفقهية "الأمر بمقاصدها"، حتى ندري كيف طبق القاعدة وننزلها على الجزئيات. لأنها قاعدة كلية يندرج تحتها أغلب أجزائها. إذن لابد أن أفهم الأول القضية الكلية.

* المقصود من النية:

أولاً: تمييز العبادات عن العادات.

وهذا من فوائد وعظيم استعمال النية.

مثال: رجل أمسك عن الطعام من الفجر إلى غروب الشمس بغير نية الصوم، استجابة لأمر طبيب فهذا مجرد الإمساك فقط لا غير ولا يعد قرباً إلى الله، إلا إذا سبقه أو وافقه نية أنه يمسك عن الطعام طاعة لله -جل وعلا-، فيصوم يوماً نفلاً يؤجر عليه.

ثانياً: تمييز بين العبادات فيما بينها.

مثلاً صورة صلاة الظهر كصورة صلاة العصر تماماً بتمام فتميز بينهما بالنية، نويت في الأول أصلي صلاة الظهر، والثاني أصلي صلاة العصر.

* شروط النية.

الشرط الأول: الإسلام:

نحن نتكلم عن عمل صالح يُرجى به القرب من الله، إذن في الغالب نحن نخاطب المسلمين، فيشترط في النية الإسلام، لأن هذا شرط في كل العبادات.

◀ هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟

المسألة فيها خلاف أصولي: فبعضهم يقول نعم، وبعضهم يقول لا، لكن نحن نتكلم في قواعد فقهية فمن يديهي أننا نخاطب المسلمين. إذن يشترط في نيته الصالحة التي يرجو بها وجه الله أن يكون هذا الشخص مسلمًا، وهذا الشرط في كل عبادة، لأن النية والعبادة لا تنصح إلا من مسلم.

الشرط الثاني: التمييز.

وذلك لأن النية لو صحت لصحَّ عمله ولوجب عليه العمل والتمييز يعني يبلغ سن التمييز، والتمييز دائمًا يكون دون التكليف، التكليف إذا بلغ الصبي وحاضت الفتاة، أما التمييز يكون دون ذلك، يكون ثمان سنين، تسع سنين، عشر سنين، ممكن ترسله في قضاء حوائج يقضيها، ياكس التجار ويعرف القيم، نقول له: وأنت ذاهب تصلي في المسجد استحضر النية، تصوم استحضر النية.

الشرط الثالث: العلم بالمنوي.

فلا بد أن يعلم الإنسان بالمنوي علمًا يقينًا.

مثال: شخص ذهب إلى الحج، يعلم أن يسافر وأين مكة وأين المدينة والكعبة والمسجد النبوي وعرفات ومنى، يعلم المعالم، إذن هو لابد أن ينوي نية أنه يذهب إلى الحج.

إذن العلم بالمنوي، يعلم صفة المنوي هذا هل هو فرض، هل هو نافلة، تقديره في التكليف، صفته، شكله، ويكون عنده علم به. أحيانًا يدخل الوسواس عند بعض الناس، فعندما يأتي ليصلي العصر، فإذا أرد أن يكبر غلب عليه الوسواس، وهو يصلي الظهر يغلب عليه في عقله صلاة العصر، فوقع في حيرة، نقول له صلّ، اغلب الشيطان، اقهر الشيطان حتى يندحر بعيدًا عنك.

الشرط الرابع: ألا يأتي بمنافٍ للنية.

أمور تنافي النية

أولاً: أن يقطع العبادة:

يعني دخل يصلي الظهر ثم قطع الصلاة وخرج، انقطع العمل وفسد العمل بانقطاعه.

ثانياً: الردة عن الإسلام:

يعني وهو صائم، والصيام قرينة إلى الله -جل وعلا- حدث أمر معين، فتنة وقعت له؛ فارتدَّ عن الإسلام، بطل عمله.

* تعيين النية ومتى تشترط.

علمنا أنه لا تكن عبادة إلا بنية، ولكن هل يشترط في كل عبادة تعيين نيتها بحيث لا تجوز بنية مطلقاً؟

مثال: النية في صيام رمضان

بعض العلماء يقول: يكفيك نية في أول رمضان تكفيك رمضان كله.

بعض العلماء يقول: لا، لابد من نية كل ليلة، أن تبيّت نية لصيام اليوم القادم.

فلما كانت العبادات منها ما يؤدَّى في وقت معيّن، وقت واسع، ومنها ما يؤدَّى في وقت ضيق، العلماء قسّموا، قالوا: الواجب هذا في النية فيه واجب موسّع، وفيه واجب مُضَيّق، يعني في وقت لابد من حضور النية فيه، وفي وقت عبادة أخرى النية لها وقت واسع.

مثلاً: الصلاة وقتها موسّع، صلاة الظهر وقتها من أذان الظهر إلى أذان العصر، ولكن زيد تأخر عن إيقاع صلاة الظهر في وقتها حتى أوشك أن يدخل وقت العصر؛ صار الواجب ضيقاً.

من العبادات ما يكون مساوياً للمؤدَّى، الصوم:

مثلاً: صوم رمضان هذا فريضة لابد أن يستحضر له النية قبله لكن لو أنه كان يصوم نافلة كما كان يفعل النبي ﷺ، كان يسأل عائشة رضي الله عنها عن

الطعام . فتقول لا يوجد ، فيصوم .

أقوال الفقهاء في تعيين النية:

1. الحنفية: التعيين ليس بشرط، فيجوز مطلق النية.

2. الشافعية: يشترط التعيين لتمييز رمضان من القضاء والنذر.

3. الحنابلة: فيه خلاف.

وهذا إذا كان مريد الصوم صحيحاً مقيماً. أما إذا كان مسافراً الأمور تختلف.

❏ في الصلاة إذا كانت فرضاً:

يشترط تعيين نيتها باتفاق حتى لا تلبس بغيرها ، لأنه لا بد من تمييزها حتى تتميز صلاة الظهر عن العصر، وكذلك في النوافل.

❏ ما لا يشترط فيه تعيين النية:

الطهارات، العمرة، الزكوات، الكفارات، الحج، لأن النية ظاهرة. خرج من المغرب يريد أن يذهب إلى مكة، وهو يذهب إلى العمل بصفة معينة، لكن خرج بصفة أخرى معلومة لدينا جميعاً؛ إذن هذا يذهب إلى الحج والعمرة.

فهذه لا تحتاج إلى تعيين نية، أنا عليّ زكاة أخرجه انتبهت المسألة ، لأنه لو عيّنها غيرها انصرف إليها.

❏ لو توضأ بمطلق نية الوضوء للطهارة وإزالة الحدث جاز:

هذه المسألة فقهية مفيدة جداً وهي منتشرة عند الحنابلة: هنا في هذه الحالة له أن يصلي به الفرائض والنوافل ويقرأ القرآن، ويطوف حول الكعبة.

❏ لو عين النية للوضوء لصلاة معينة:

الحنابلة: لا يصح، لأنه نوى بوضوئه صلاة الظهر، عيّن الوضوء وحصره على صلاة الظهر.

❖ محل النية

محلها الأصلي القلب ، فلا يكفي التلفظ باللسان ، ولو وافقنا على التلفظ باللسان -وأنا لا أوافق عليه- فلا بد أن يواكبه اعتماد القلب لها، مع العلم أنه لم يُنقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا من تبعه التلفظ بالنية ، لا في حديث صحيح، ولا في حديث ضعيف، إلا في الحج. بعضهم قال: يُتلفظ بالنية في الحج ، لأن النبي ﷺ علمهم إذا أتى ذا الحليفة وهو ميقات أهل المدينة يسمى الآن أبيار علي، يهّل بعمرة أن يقول: لبيك اللهم عمرة، ويعلن بهذا.

كثير من أهل العلم يقولون: لا، هذه ليست النية، لأن النية محلها القلب، فخرّجوا التلفظ بالنية في الحج بأنها ليست النية، إنها قوله ﴿لبيك عمرة﴾ إعلان ببدء المناسك، هو يُعلن لمن حوله ولنفسه، أنا الآن دخلت في المناسك، فما كان حلّالي قبل هذه الإشارة صار محرّماً عليّ بعدها، حالي يختلف مع الأحكام عند الإعلان بهذه الإشارة.

1. الشافعية: يستحبون التلفظ بالنية

يقولون: مساعدة للقلب على النية.

أنا أقول: إذا كان الأمر كذلك -مساعدة القلب- إذن القلب فيه نوع من الغياب، أصل القرب كله من الله إنما يكون مبدأً من القلب، إنما منشأ الطريق وبداية الطريق مع الله تنشأ من القلب.

2. بعض علماء الحنفية: اختلفوا، فبعضهم استحَب التلفظ، وبعضهم رآه سنة، وكره آخرون.

3. الحنابلة: يرون أن التلفظ بالنية بدعة، كما ذكر ذلك ابن القيم في كتابه الرائع الماتع كتاب زاد المعاد.

الأقرب والأصوب وهو عدم التلفظ.

لو شك في النية ودخل عليه اختلاف

لو شك ودخل عليه الاختلاف، نقول في هذه الحالات: مَنْ لا يقدر أنه يستحضر النية بقلبه أو يشك فيها يتكلم، وهذا استثناء، ولكنه على النادر جداً

هل تسبق النية العمل أو تواكبه؟

كثير جداً من الأعمال لابد أن تسبق النية العمل، وبعضهم لابد أن تواكبه النية.

مثال 1: اليمين

لأنه ربما سبق للسان إلى لفظ في اليمين بغير قصد، هل تنعقد الكفارة أو لا تنعقد؟

1. **الشافعية:** من سبق لسانه إلى لفظ اليمين بلا قصد، فلا تنعقد يمينه ولا تتعلق به كفارة.

قالوا: إذا حلف بغير قصد، لا توجد نية مواكبة لهذا اليمين؛ إنما خرج الكلام منه على سبيل السرعة واللهفة والتعجل، فلا تنعقد اليمين، إذن لا ترتب عليها الآثار المترتبة على اليمين.

2. **الحنفية:** لو سبق لسانه إلى لفظ اليمين بغير قصد انعقدت؛ إذن وجبت الكفارة...

واختلاف العلماء هذا فيه سعة، ومرجعه في الأخير إذا كانت الأحكام بيد القاضي فمرجعه إلى القاضي، إن كان القاضي حنبلياً مشى بهذا، كان القاضي حنفياً مشى بهذا، ونحن طبعاً عامة أبناء الأمة نسير في المذاهب في الأحكام خلفاً للقاضي المسلم، لكن لا أكون أنا شافعي المذهب مثلاً وأذهب لقاضي حنبلي أقول له: لا، أنا شافعي أنت حنبلي، أفنتي على مذهبي! لا، كلنا خلف للقاضي، ونسير على مذهب القاضي المسلم.

مثال 2: النذر

الناذر يقول: عليّ لربي كذا وكذا، فهذا لا يلزمه مواكبة نية ولا يلزم أن تكون النية معه أو قبله، لأنه صار النص صريحاً في المعنى فالأداء يكفيه هنا. وهذا ما اتفق عليه العلماء.

مثال 3: الطلاق

يقول: "ومما يكتفى فيه باللفظ النذر والطلاق، حيث قالوا: لا يكفي في انعقاد النذر أو وقوع الطلاق النية، بل لابد من التلفظ".

يعني واحد نوى أن يطلق زوجته، فهذا لا يقع الطلاق، بل لابد من التلفظ، لأنه هذا يدخل الوسواس على كثير من الشباب حديثي العهد بالزواج.

مثال 4: العتق

فإذا كنت تملك رقيقاً، وأردت أن تعتقه، وأنت في ساعة رضى وهدوء نفس، في نيتك تقول: سأعتق فلان وفلان وفلان، فهذا لا يكفي لإخراجه إلى الحرية، بل لابد أن تقول: فلان عتيق، أو فلانة عتيقة، من الرجال أو من النساء، لابد أن يسمع هذا، أما النية فقط لا تجزئك في هذا.

مثال 5: الوقف

الحنفية: الوقف لابد فيه من التلفظ. أوقف ماله، فلا بد فيه من التلفظ.

هل العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني أم بالألفاظ والمباني؟

مثال: في مصر إذا ارد الرجل أن يطلق امرأته يقول لها: أنت طالى - بالهمزة وليست بالقاف، في الجزيرة يقولون: أنت طالج - تشبه الجيم -، أهل اليمن

أشبه بمصر، المصطلح واحد لكن طريقة أداء الأحرف مختلفة، فهذا يقع الطلاق بهذا اللفظ، بالرغم أنه لم يقل: طالق.

فاللفظ له عبرة عظيمة جداً ودخول عالي جداً، وما تعارف عليه الناس عرفاً له أصل أصيل في الدخول في الأحكام

ولا يأتي واحد يقول: أن قلت أنت طالى!، فهذا مرجعه إلى العلماء، إن كنت عالماً نعم، لكن لست عالماً يقع به.

فالنية تخصص العموم وتعمم الخصوص.

﴿ ما يستثنى من قاعدة الأمور بمقاصدها:

نستثنى من هذه القاعدة العامة "الأمر بمقاصدها" تقول: مَنْ استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه.

الشيخ السعدي يقول:

معاجل المحظور قبل أنه قد باء بالخسران مع حرمانه

من ضمن الاستثناءات: الإيثار في القرب مكروه وفي غيرها محبوب.

مثال: الإيثار في القرب ، مثلاً الصف في المسجد فيه فرجة ، فهنا لا أقول لشخص آخر أدخل وسد الفرجة ، فأنا أولى بالقربة، إلا إذا كان يترتب عليه ضرر، النية صالحة ولكن الأمور بمقاصدها .